الفصل السادس

أبرز المشاكل التي يعانيها ذوو الأسرى والمفقودين

- المأساة في كلماتهم.
- الآثار النفسية.
- الآثار الاجتماعية.
- الآثار الصحية والاقتصادية.

الفصل السادس

أبرز المشكلات التي يعانيها ذوو الأسرى والمفقودين

مما لا شك فيه أن الآثار السلبية التي يعاني منها أهالي الأسرى والمفقودين تحتاج إلى الوقت والجهد لإعادة الثقة في نفوسهم خاصة وأن العدوان العراقي الغادر على الكويت ترك جروحاً عميقة في جميع مناحي الحياة في المجتمع الكويتي ، فقد غيرت هذه الكارثة من البنية الداخلية في نفوس أهالي الكويت وتشعبت المشكلات والقضايا نفسياً واجتماعياً وبيئياً وسياسياً واقتصادياً ومهنياً ، دولياً وعربياً وإقليمياً ، وإذا كان ذلك قد شمل كل الفئات تقريباً فما بالنا بذوي الأسرى والمفقودين الذين فقدوا عائليهم وكانوا أكثر الفئات تضرراً من غيرهم ، فهذه الأسر مازالت تعيش محنة أسر ذويهم وتتعايش معها ، هذه العائلات التي فقدت كل منها عائلها مازالت تعيش في عذاب بعد أن مرت السنون عليهم وهم محرومون منهم لدرجة أن بعضهم لا يستقبلون زوارهم نظراً لحالة الحزن والمأساة التي يعيشونها منذ أكثر من عشر سنوات ، وحتى تتضح الصورة وقبل أن نتعرض لهذه المشكلات بالتفصيل سنعرض لأقوال بعض ذوي الأسرى من الأمهات والآباء والأخوات والزوجات الذين مازالت الدموع تنساب من عيونهم عندما يتحدثون عن الابن أو الزوج أو الشقيق الغائب ، فكل بيت في الكويت لا تكتمل فرحته مهما كانت مناسبتها لوجود أسير له في السجون العراقية فهم يعيشون مرارة الانتظار بين الأمل واليأس . إن هذه الأقوال تبرز لنا صرخات الأمهات الثكالى والزوجات والأبناء بعد فقدانهم لعائليهم وهم لم يفقدوا صبرهم ، ولم يتغير إصرارهم على عودة كل الأسرى والمفقودين إلى ديارهم .

إنها صور عديدة تتجاوز السمع إلى البصر ، وتنفذ إلى القلب لتعتصره ،

وتؤرق الفكر الإنساني الذي يعلن غضبه وثورته في كل لحظة على من تسبب في هذه المأساة التي يعيشها مئات الأطفال الذين حرموا من وجود الأب ، وهم في سن أحوج ما يكونون فيه إلى رعايته ووجوده ، وتعيشها الأمهات والزوجات والثكالى والأرامل .

١- المأساة في كلماتهم

قالت أم فهد : عسى خير . . عايشين بالأمل والإيمان . . ماذا أقول وفكري كله معلق مع الغائب الحاضر . ولدي حسين الغالي ، أخذوه الظلمة بعد شهر من جريمتهم على ديرتنا . . كل جريمته أنه كان يوزع الطعام مع عيال الفريج . . حاله حالهم . . وإيش أقول . . وأنا أرى أطفاله والسؤال المر الدائم : متى يرد أبوي يا جدتي؟ أقول ادعو له ولإخوانه يردون بالسلامة . . وأطبق قلبي على حزني وأصمت . . أدري أنه محروم من ضوء الشمس والهواء والعائلة ، دونما تهمة أو محاكمة ودونما ذنب نعرفه . . وتصمت أم فهد وتعود لتفتش في ذاكرتها رغبة في أن تخرج ما تختزنه من ألم الفراق ، فتأتي ردودها قليلة ممزوجة بقلق عميق يسكن بين كلماتها القليلة ، وللأم الصابرة كل العذر لأنها مثل كل الكويتيين تعرضت للخيانة من جار ، جار على وطن كامل فتمشطت أفكارها بعتمة مناجل سوداء أطفأت نور النهار في قلبها . . ولكن هي تردد الحمد لله نحن نعيش بالأمل . . أبناء الأسير حسين الدريع علي وعبدالله وسكينة والصغير أحمد اعتادوا بين الفينة والأخرى أن ينفردوا معاً ويكتبوا الرسائل في محاولة منهم لاستعادة شيء ما بين جدران البيت الكبير[1] ، شيء ينقصهم فأقض مضاجعهم وأقلق راحتهم وراح يعبث بأحلام طفولتهم وسنواتها الجميلة ، فلم

---

(١) انظر مع الأسير : العدد السادس سبتمبر ١٩٩٤م .

سبتمبر ١٩٩٤م حديث مع أم الأسير حسين جاسم الدريع من ١٦ - ١٧ .

تعد جميلة ، ففي غمرة حلمهم البريء دخلوا خانة ما لايريدونه ، بعد أن دهست عجلات الطغاة الحلم البريء ، وأصبحوا وأحلامهم خارج مطارات الحياة المستقرة ، فقد غاب الأب وحرمت شفاههم من النطق بكلمة أب . . لكن بقي الأمل يسكن جزر أحلامهم ، يحركهم وسط أمواج ما يتردد ولا يستوعبونه من معلومات . . زينوا رسائلهم بعبارات المحبة والشوق وأعلنوا بين سطورها عن مفاجأة عودة الأب ، ثم يقررون تاريخاً ما ويغلقون الرسائل ويلصقونها على باب كل غرفة في البيت .

تستيقظ الجدة الحنون لتتسلم الرسالة وبين دموعها تحتضن أبناء ولدها . . هم فرحون بما فعلوا ويؤكدون أن التاريخ الذي حددوه هو نفس اليوم الذي سيطرق فيه والدهم باب البيت الكبير . . وتتجاوز الأم الصابرة أحاسيس أحفادها وتتجاسر على آلامها وتعيش مع الصغار لحظات الأمل التي تختتم يومياً بالصلاة والدعاء .

وفيما يلي نعرض لبعض هذه الرسائل :

رسائل تحمل أشواق الأهل إلى الذين غابوا طويلاً . . لأنهم إذا كانوا قد غابوا عن العيون فإن القلوب لا تزال تراهم .

ديرتنا بألف خير

إلى الوالد الغالي ح .د . الأسير البطل ، أنا ابنك علي . . أبلغك كل أشواقي ، والأهل كلهم بخير وناطرين ردك بإذن اللّه .

والدي الحبيب : عندي أشياء كثيرة أريد أقولها ، لكن يخونني التعبير وتأكد أن ديرتنا بألف خير ومدارسنا صارت كما كانت ونجحنا أنا وإخواني وأنا الآن سأدرس بالمرحلة الثالثة المتوسطة ، وإحساسي يقول لي إنك حي ترزق فصبراً جميلاً . . «اللّهم باسمك نعتزم ، وبركنك نعتصم ، وبحولك نستدفع الوهن ،

ونستعدي على الزمن ، سبحانك لا نحصي ثناء عليك ، لك الحمد في الأولى والآخرة ، إنك أنت ملهم القول ولي التوفيق» .

ابنك المنتظر : ع .ح .د .

وهناك رسالة أخرى من ابنته سكينة تقول فيها :

قولوا آمين

والدي الحبيب حسين . .

أنا ابنتك سكينة سأدخل السنة الثانية الابتدائية . . أتمنى أن تقرأ رسالتي فأنا أحبك وايد . .

والدي الحبيب . . الحمد للّه اللي رجعت لنا كويتنا الحبيبة وأميرنا الغالي . . يارب ويا الحاضرين قولوا معايا . . يا رب انتقم من الظالم وانتقم من صدام ، أنا بنت الأسير حسين ، يا رب ترجع أبوي ، ويرجع كل أسير يا الحاضرين ادعوا ربكم يرجع كل أسير آمين . . وإلى أن أراك اطمئن نحن بخير وديرتنا بألف خير .

ابنتك المشتاقة : س .ح .د

أما الرسالة الثالثة فكانت من ابنه :

إلى كل أسرانا وبينهم أبوي

ع .ح .د . الطالب في السنة الثالثة الابتدائية إلى كل أسرانا في سجون صدام المجرم . . إلى أبوي الحبيب . . أنتظر عودتك بفارغ الصبر ، وكل يوم أتوقع وأنتظر عودتك وعودة كل أب إلى بيته علشان عياله يستأنسون ويوصلهم للمدرسة ، والدي الحبيب مشتاق تاخذني معاك في السيارة وتودينا للحديقة مع

إخواني . . كلما رأيت ضابطاً أو شرطياً رفعت يدي تحية له إنني أراك فيه . . هل تشعر بمثل ما أشعر به أنا الآن ، سأغمض عيناي وأنام وسأجدك غداً تجلس معاناً تتناول طعام الفطور . . مشتاق لك وشدوا العزم والحيل ترى خروجكم قريب بإذن اللّه .

ولدك المشتاق : ع .ح . د .

(مع الأسير : سبتمبر ١٩٩٤م)

وقالت زوجة الأسير حسين السيدة أم علي : لست بناسية أبد الدهر ، وكلي فخر واعتزاز . العمل الوطني الذي كان يقوم به زوجي مع إخوانه ورفاقه من أجل خدمة أهل المنطقة . . إنه مشهد خروجه اليومي من الصباح حتى آخر الليل ليعود منهكاً متعباً وقلبه يفور ألماً وغيظاً وهو يحكي لي عن الحواجز السوداء ونقاط السيطرة التي أقامها جنود الغزو العراقي الغاشم في شوارع ديرتنا ، وكان يقول لي : لم تكن للحفاظ على الأمن أو البحث عن السلاح والمنشورات بقدر ما كانت إحدى وسائلهم الجبارة لإهانة الفرد الكويتي وجرح مشاعره الوطنية والإنسانية . . وتكمل أم علي : كان يتألم من منظر الطوابير الطويلة في لفح الهجير بانتظام للحصول على بعض الضروريات من الجمعيات التعاونية ، إنها طوابير القهر والإذلال تحت سطوة الامتلاك .

إنني أفخر بأن الغزو كان درساً كبيراً لنا ، ففيه برزت إيثارية الناس رغم حزننا ، كل منّا يحتاج إلى أي شيء ، لكنه بيسر ومحبة يقدمه للآخر ، رائحة الحب هي التي كانت تبدد خوفنا من غدنا ، لهذا فأنا وغيري نتباهى بأهلنا وعيالنا وبمشاعرهم ، هذا التعاضد الاجتماعي له جذور ، ففي زحمة المأساة ولسع القهر والحسرة . تعود أم علي إلى مشاعر الفخر والاعتزاز وتذكر :

كانت تصل إلينا أخبار القتل ، والقمع والخطف ومع الخوف ألمحنا بالخروج فكان رد زوجي : هنا حياتنا ، وهنا قبرنا فمن يرد الخروج فليخرج ، أما أنا فصامد حتى آخر قطرة من دمي . . وتقول : لقد أدان «حسين» الرحيل عن الوطن وتمسكنا برباطة جأشه حتى الأطفال ، وحتى تحررت الأرض وأسر «حسين» مع من أسر من شباب الديرة ! ! وإذا كانت الجدة تبدد اليأس من صدر أحفادها فإنها كانت للزوجة الرمز في الصبر ورباطة الجأش . وتقول عنها باعتزاز كبير : لقد شعرت برفض خالتي الخروج ، وظلت كلماتها في رأسي : نخلي ديرتنا للعدو والله لو على موتنا . . أجدادكم ماتوا في بحرها واحنا في برها نموت . . تراب الوطن غالي لو يحصل لنا ما ندوسه .

(مع الأسير : العدد السادس سبتمبر ٧٤ ، ص ١٧)

أما عن أسرة الأسير أ . ع . ف

فقد كان عمره وقت الأسر ٢٥ عاماً ، تقول شقيقته إن شقيقها أسر في منطقة الفروانية وذلك خلال جلوسه مع مجموعة من أصدقائه في إحدى الديوانيات .

ويذكر أن أمان كان في عداد الحرس الوطني وتقول شقيقته : دائماً نتذكره عند اجتماعنا على سفرة الفطور وبخاصة في شهر رمضان حيث كان يمارس الرياضة قبل موعد الفطور بساعات قلائل .

والحالة النفسية للوالدة أصبحت سيئة للغاية وكل يوم تبكي ونظرها بدأ يضعف تدريجياً ودائماً تقضي وقتها عند «عتبة» الباب ولا تدخل البيت إلا للخلود للنوم .

وتقول إن آخر الأخبار التي سمعناها عن شقيقي كانت من أناس أخبرونا أنه موجود على قيد الحياة .

أما أشقاء الأسير فدائماً يتذكرونه ودائماً يجتمعون في غرفته .

وتتمنى شقيقة الأسير أن يرجع أخوها وجميع الأسرى في أسرع وقت . وأضافت بأن اللجنة الوطنية تقوم بدورها على أكمل وجه وذلك بفضل الشيخ سالم الصباح حيث يقومون بتقديم العون دائماً ، وتقول إن أهل الأسرى هم أكثر الناس لهفة لمعرفة أخبار الأسرى ، وتضيف نطالب المجتمع الدولي بالضغط على النظام العراقي لحل قضية الأسرى حتى يرجعوا إلى أهلهم وبلدهم الكويت .

وتقول زوجة الأسير ع .ج .م ، إن زوجها من مواليد عام ١٩٦٤م ، وكان موظفاً في وزارة التربية وله ثلاثة أولاد ، وأسرته قوات العدوان في ٢١/ ١/ ١٩٩١م . إذ قامت مجموعة من قوات الغزو باقتحام المنزل واعتقلوا الأسير مع اثنين من إخوانه .

وتضيف إنه في شهر فبراير ١٩٩١م أطلق سراح أحد الأشقاء وقال بأننا كنا معتقلين في الكويت في قصر العدل ونقلنا بعد ذلك إلى معتقلات أخرى .

وتضيف زوجته في البداية كانت تصلنا أخبار منه ، أما الآن فلا يوجد أي خبر إطلاقاً ، وفي السابق كان أصدقاء عبدالله يسألون عنه وعن أخباره ، والآن انقطعوا عن السؤال .

وتؤكد زوجته أن ذكراه لا تغيب عن أذهاننا وبخاصة خلال شهر رمضان والأعياد وتضيف زوجة الأسير بأن الدولة قامت مشكورة بتوفير منزل لنا في منطقة «القرين» . وتطالب الدول الصديقة والشقيقة أن تقف مع الكويت لحل هذه القضية الإنسانية سواء بالضغط على النظام العراقي أو بالسياسة الحكيمة أو بطرق أخرى عبر وسطاء يؤثرون في هذا النظام المتسلط .

(الرأي العام ٣٠ يناير ١٩٩٨م)

أما الأسيرة س .ع .م . فقد تم أسرها في ١٠/ ١١/ ١٩٩٠م وكان عمرها قبل الأسر ٢٦ عاماً وكانت تعمل قبل الغزو مديرة لشركة معرفي للاستيراد والتصدير .

وتقول والدتها إنه في صباح يوم الغزو ذهبت إلى إحدى صديقاتها ومن ثم اتصلت بوالدتها وقالت لها إنها سوف تتطوع في الهلال الأحمر أو في مستشفى مبارك وكانت تذهب إلى عملها وتأتي إلى البيت .

وفي ١٠/ ١١/ ١٩٩٠م تقول والدتها قالت سميرة أنا سأذهب إلى عملي في الساعة الخامسة وسأتصل بك من هناك ولم تتصل ، ثم قمت بالاتصال بالمجموعة من الخامسة وحتى العاشرة ولكن دون جدوى .

وبعد فترة اتصلت بصديقتها إلا أنها لم تخبرني بوقوع سميرة في الأسر لأن هاتفها كان تحت المراقبة وبعد أسبوع قال شقيقها إن العراقيين ألقوا القبض على سميرة وفي ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٠م اتصلت فتاة وقالت إن سميرة بخير وسترجع بعد يومين ولم ترجع ، وبعد فترة اتصلت فتاة مصرية وقالت إن سميرة سترجع بعد أيام عدة ولكن دون جدوى ، وبعد يومين اتصل شخص كويتي وقال إن لديه أمانة لنا من سميرة وذهب شقيقها إلى الشخص وأتى برسالة وكانت تطلب فيها ملابس وأكلاً وأرسلنا لها كل الطلبات ، وفي الخامس من أكتوبر اتصلت امرأة عراقية وقالت أن لديها أمانة من سميرة والأمانة عبارة عن رسالة وهي تطلب أكلاً وبعض الملابس وكانت سميرة موجودة في سجن الأحداث في منطقة الفردوس ، وبعد ذلك تم ترحيلها إلى البصرة ، لذلك تناشد والدة الأسيرة دول العالم ومجلس التعاون الخليجي أن تعمل على حل قضيتنا فالسنوات تمر ونحن مكتوفو الأيدي .

أما من حيث الذكريات فدائماً على البال ودائماً نتذكرها في شهر رمضان

كذلك نتذكرها في أيام العيد ونبكي حزناً عليها ونطالب العالم أن يسارع إلى حل هذه القضية الإنسانية لأنهم بشر أولاً وأخيراً .

(الرأي العام في ٣٠ يناير ١٩٩٨م)

أما الأسير ح .ع .ق فهو غير متزوج وكان يبلغ ٢٢ سنة عندما أسر في ١٥/ ٨/ ١٩٩٠م وكان طالباً في كلية التربية الأساسية .

وتقول شقيقته كان يساعد عائلة كويتية حيث إن هذه العائلة تفتقد المعيل لها ، فكان يقوم بتزويدها بالطعام والشراب وكان الأسير يسكن في منطقة الرميثية وتم القبض عليه عند مروره بإحدى نقاط التفتيش وبعد ذلك تم نقله إلى أحد المعتقلات التي أقامتها قوات الغزو في الكويت .

وقام أحد الضباط العراقيين بالاتصال بأهله وتحدث مع والدة الأسير وطلب منها التحدث إلى ابنها وشعرت حينذاك أن حسين أصبح بقبضة العراقيين .

وقالت شقيقة الأسير إن جارهم أمه من أصل عراقي وخاله في الحرس الجمهوري وقال أنا سأساعدكم بالعثور على ولدكم الأسير حسين وذهب الوالد مع الضباط وجارنا إلى أحد المعتقلات في بغداد واشترط الضباط على والدي ألا يبكي ولا يضحك ولا يتكلم عندما يشاهد شقيقي حسين وكان حسين بحالة صحية سيئة عندما قابله والدي ، وبعد فترة أتى إلينا شخص كردي من شمال العراق وقال أعطوني ثلاث سيارات وثلاث أجهزة فيديو وثلاث تلفزيونات وأطلق سراح حسين ، ولكن بعد ذلك تبين لنا أنه نصاب وبعد فترة اكتشفت من خلال أصدقائه أنهم وضعوهم في سرداب في مستشفى الصباح حيث تمكن أصدقاؤه من الهرب أما هو فلم يستطع ، وهذه الأحداث كانت قبل سفر الوالد للعراق ، وعندما أطلق سراح بعض الأسرى بعد التحرير كنا نسألهم كلاً بمفرده

إن كانوا يعرفون شقيقي وذلك من خلال إبراز صورته لهم وقد علمنا أنه كان يتم نقله من مكان لآخر (بعقوبة والرمادي والبصرة وبغداد) .

والآن أصبحت حالة والدي الصحية سيئة للغاية فهو أصيب بالسكر والوالدة أغلب وقتها تقضيه بالبكاء ودائماً تستمع لإذاعة صوت العراق الحر ربما تجد أخباراً عن شقيقي ، نحن الآن نقاطع كل المناسبات والأفراح وقالت شقيقة الأسير إنها شاركت في مؤتمرات عدة لحقوق الإنسان في لندن العام ١٩٩٥م وأرسلنا رسائل إلى الرؤساء في الدول الصديقة والشقيقة وشاركنا في مؤتمرات عدة في الولايات المتحدة وطالبت المسؤولين بأن يقوموا بالتعاون مع الصليب الأحمر بزيارة أسراهم .

وأصعب الأوقات التي نتذكر بها الأسير خلال شهر رمضان وقت الإفطار لأنه كان يقوم بتجهيز سفرة الفطور ، كذلك العيد ، فالعيد عند الناس فرح أما لدينا فهو حزن .

وتقول إن اللجنة الوطنية للأسرى تقوم بعملها على أكمل وجه .

وكان الأسير يحب السباحة وكرة القدم وكان يعمل موظفاً في وزارة الشؤون ويدرس في كلية التربية قسم اللغة العربية .

ونناشد الصليب الأحمر أن يحدد زيارات دورية لأسرانا في سجون النظام العراقي .

(الرأي العام في ٣٠ يناير ١٩٩٨م)

أما الأسير ج .ع .ع . فتم أسره بتاريخ ١٥/ ١١/ ١٩٩٠م وكان يبلغ من العمر ٣٥ سنة متزوج وليس لديه أولاد ويعمل موظفاً في وزارة الإعلام ويقول والده عبدالحميد : جمال عندما دخل العراقيون واحتلوا وزارة الإعلام اتصلوا

ببعض الموظفين عن طريق الكشوفات الموجودة في الوزارات والتي تدل على أسمائهم وعناوينهم وتلفوناتهم فاتصلوا بجمال حتى يزاول عمله معهم ولكنه رفض الالتحاق بعمله . واختفي لفترة إلى أن كون هو وأصدقاؤه مجموعة لتقديم الخدمات الإنسانية كتوزيع الأغذية ومساعدة المواطنين وأعمال أخرى وتم هذا العمل لغاية شهر سبتمبر حتى جاء بعض جنود الجيش العراقي إلى المنزل الذي كان موجوداً فيه في منطقة الرميثية وتم القبض عليه من قبلهم ، وتوجهنا إلى مخفر الرميثية أنا وأشقاؤه ووجدنا سيارته داخل المخفر وهي من نوع (جيب سوزكي) وعندما سألت أحد الضباط عنه قال لي جمال الذي يلبس نظارة ، فقلت نعم فقال لا نعرفه . يمكن تم نقله إلى مكان آخر وذهبنا إلى مخفر سلوى فقالوا في مخفر الفردوس ، وذهبنا ولم نجده ولغاية الآن لا نعرف عنه أي شيء .

وقال والده ، بالطبع دائماً نتذكره في شهر رمضان ولا يغيب عن بالنا أبدا وكان يحب إخوانه وأخواته حباً شديداً ودائماً صاحب فكاهة ودائماً إخوانه يتذكرون جلساته بأسي وحسرة حيث كان شخصاً محبوباً للغاية .

ونحن كأفراد أسرته نتألم أشد الألم لأن هذه السنين تمر علينا ونحن محرومون منه واللجنة الوطنية خير من يمثل أهالي الأسرى ويدافع عن قضيتهم وحقيقة إن اللجنة الوطنية ورئيسها الشيخ سالم الصباح بذلوا كل مجهود مخلص من دون أن تكون هناك حوافز شخصية ، وهو شخص ذو مكانة عالية ودافعه الوطني هو الذي جعله يدافع عن هذه القضية . ويناشد الدول العربية والدول الصديقة أن تضغط على النظام العراقي من أجل فك قيد أسرانا الذين مرت عليهم عدة سنوات ولا نعرف مصيرهم .

كذلك نناشد المسؤولين بالتعاون مع الصليب الأحمر لتنظيم زيارات شهرية لرؤية أولادنا الأسرى في السجون العراقية .

وأعتقد أن هذه الخطوة لو تحققت لقل التعب النفسي لدينا وأصبحت لدينا معنويات جيدة ، إننا كأهالي أسرى نعاني من هذه المشكلة لأنها مشكلة وقضية ليست بسيطة فكيف لأب أو لأم لديهما ولد أسير ولا يعلمان مصيره .

(الرأي العام في ٣٠ يناير ١٩٩٨م)

أما الأسير م .ث .م فقد أسر في ٢١/ ١٠/ ١٩٩٠م هو وأسرته بأكملها ، وتم سرقة سيارته ، وتقول والدته إن مجموعة من الجيش العراقي كسروا الباب عليه وهو يصلي الظهر وأخذوه ونقلوه إلى الأحمدي مع مجموعة من الشباب وبعد فترة ذهبنا إلى الأحمدي لنتفقده ووجدنا هناك الكثير من الأسرى . ويتابع الأسير الرواية ويقول : وفي اليوم نفسه نقلونا إلى منطقة الديوانية في العراق وبقينا في هذا المكان حتى موعد الضربة الجوية للحلفاء على بغداد وتم نقلنا إلى مكان آخر يسمى «الدقارة» حيث وضعونا كدروع بشرية بالقرب من مخازن الأسلحة الثقيلة والصواريخ حتى أن قوات التحالف ضربوا الهدف ولكن رحمة اللّه نجتنا من ذلك ، وبعد ذلك تم ترحيلنا مرة أخرى إلى منطقة الديوانية وبقينا في هذا المكان حتى تحرير الكويت وعرفنا ذلك من أحد الجنود العراقيين يسمى «حسين» وكان هذا الجندي متعاطفاً معنا ، وبعد ذلك حصلت الانتفاضة ودخلوا علينا المعتقلات وأخرجونا وكان معنا سجناء عراقيون ينفذون أحكاماً منذ عهد أحمد حسن البكر . وقاموا بتأجير حافلة باص لتقلنا إلى الكويت عن طريق الناصرية والسماوة وكانت رحلة شاقة وكانت تكلفة الحافلة بحدود ألف دينار ودفعت المعارضة المبلغ .

وبعد ذلك تم استقبالنا من قبل الحلفاء ووضعونا في خيمة كبيرة وجلسنا يومين حيث أعطونا العلاج والأكل وبعد ذلك تم نقلنا إلى السعودية ثم إلى الكويت .

وتضيف الأم إذا كنت عانيت من الأسر هذه المعاناة فكيف حال ولدي الأسير وتقول إنه كان متديناً وتضيف إن سيارة الأسير توجد عند صديقه محمد الفيلكاوي لأني لا أحب أن أراها كل يوم ، وتقول إننا دائماً نتذكره في شهر رمضان وفي غير شهر رمضان وكان يحب الأكلات مثل أكلة «العصيدة» في رمضان .

كذلك تمت خطوبة شقيقه من دون فرح ودائماً أخاطب صورته لدرجة أن منزلي مملوء بصوره . وقالت إنها شاركت ضمن وفد نسائي في البحرين لشرح القضية وكانت مشاركة فعالة . لدرجة أنني أثرت أحاسيس الجميع وأعطيت أبعاداً كثيرة للقضية .

(الرأي العام ٣٠ يناير ١٩٩٨م)

أما الأسير ج .ش فقد تم أسره بتاريخ ٢٠/ ٨/ ١٩٩٠م وهو من مواليد عام ١٩٥٢م .

وتقول زوجته إن هناك آلية عسكرية بالقرب من المنزل الذي تقطن به قد دخلوا البيت وإذا بأحد العسكريين يقول لنا أخرجي أنت وعيالك من المنزل وقد وضع السلاح على ظهري وقال الضابط إن لدينا أسماء من ضمنهم اسم زوجك جاسم وقال الضابط إذا كان عندكم سلاح فأخرجوه فقال زوجي عندنا سلاح قديم وقاموا بتفتيش المنزل حتى المخزن والثلاجة .

وعندما شاهدوا كلاً من صورة الشيخ جابر والشيخ سعد قالوا بأن هذه منشورات معادية وبعد ذلك أخذوا جاسم وقالوا بعد ساعتين سيعود إليكم حيث إن هناك إجراءات لابد من تطبيقها وبعد ذلك قال الضابط «أتحبين أن تقولي له شيئاً» وبعد فترة سمعت أنه في معسكر الجيوان وذلك عن طريق الضابط العراقي

«لؤي» وقال لي اذهبي إلى «الجيوان» ولا تقولي إنني أرشدتك إلى مكان زوجك وعندما وصلت أنا وشقيقي إلى إحدى نقاط التفتيش العراقية بالقرب من المعسكر المذكور أوقفنا أفراد المجموعة وسألونا لماذا لم تغير لوحات السيارة وعندما وصلنا إلى المعسكر أخبرونا أنه نقل إلى مكان آخر ورجعنا إلى وزارة الدفاع وهناك وجدنا جندياً عراقياً قال لنا أنه لا يوجد أحد بهذا الاسم ومن ذلك الحين ونحن لا نعلم عنه أي شيء إطلاقاً ، ولدى الأسير أربعة أولاد ولديه بنت في المرحلة الثانوية وتقول زوجة الأسير ج . ش إن اللجنة الوطنية لم تقصر معنا .

ولدى الأسير أولاد يدرسون في أميركا هندسة ميكانيكية وولد آخر يدرس هندسة كمبيوتر وآخرون تخرجوا من الجامعة وعندي حفيد سميته باسم جده ويوجد عندي إحساس بأنني سوف أراه في القريب العاجل إن شاء اللّه تعالى .

وتناشد العالم والدول الصديقة الوقوف بجانب الكويت لحل هذه القضية وتطالب الجهات المعنية بالضغط على النظام العراقي للإفراج عن الأسرى بأسرع وقت .

(الرأي العام ٣٠ يناير ١٩٩٨م)

أما الأسير ب .ح .ك فقد ذكرت شقيقته مشاعل أنه أسر في الرابع من أغسطس عام ١٩٩٠م ، وكان يبلغ من العمر وقتذاك ٢٠ سنة ، وتقول مشاعل : أن بدر أسر هو وصديقه إذ تم اعتقاله على أيدي جنود النظام العراقي في الرابع من أغسطس ١٩٩٠م ولغاية الآن لم نعرف مصيره أو معلومات أخرى عنه ، وعلمنا أنه اعتقل في مقر الشيخ أحمد الحمود[1] ثم نقل إلى الجهراء وبعدها رحل إلى البصرة وبقي هناك حتى يوم القصف الجوي ، ومن ثم تم تحويله إلى معتقل آخر ، وتضيف : أن بدر في بالنا دائماً ، ونشعر بحضوره في المناسبات

(١) هذا المنزل لأحد أفراد أسرة آل الصباح ، وكان وزيراً سابقاً .

كافة ، وفي شهر رمضان يبقى مكانه شاغراً على السفرة ، وكأنه حاضر بيننا .

وتقول شقيقة الأسير إنها تطوعت في اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين من عام ١٩٩٢م ، وسوف تستمر بها حتى يخرج آخر أسير .

وتضيف بأن العيد لا يمر علينا ولا نستقبل أي زائر لأننا نعيش في حزن وأصبح حالنا مأساوياً .

وترى أن الإعلام يقوم بدوره بالشكل المطلوب حيال قضية الأسرى خصوصاً أن لدينا قنوات فضائية قادرة على الوصول إلى كل العالم فمن خلال شرح قضية الأسرى نستطيع أن نحشد أكبر عدد ممكن من وسائل الضغط على النظام العراقي ، ودفعه لتطبيق المعاهدات الدولية بشأن الأسرى وإطلاق سراحهم ، وتؤكد مشاعل الكندري بأنها لا تؤيد عودة العلاقات مع دول الضد .

وتضيف : على الولايات المتحدة أن تجعل من قضية الأسرى أولى أولوياتها في المنطقة فبجانب الضغط على العراق لتدمير أسلحة الدمار الشامل يجب عليها الالتفات إلى قضية الأسرى أيضاً .

كما تناشد الدول الصديقة أن تقف مع الكويت لحل قضيتها الأولى لأنها قضية إنسانية قبل كل شيء .

(الرأي العام في ٣٠ يناير ١٩٩٨م)

وتتحدث والدة الأسير خ .م .ش الذي أسرته قوات الغزو العراقي في الثامن من أكتوبر عام ١٩٩٠م . وكان يبلغ من العمر ٢٦ عاماً ، وهو ضابط في الجيش الكويتي وغير متزوج . حيث حضرت إلى المنزل مجموعة من قوات الغزو واعتقلت خالد ، وبعد مراجعات عدة قالوا لوالده بأنه سيعود إلى المنزل بعد الانتهاء من بعض الإجراءات الروتينية ولكنهم لم يطلقوا سراحه . وتضيف

دائماً نتذكره وليس في شهر رمضان أو في المناسبات فقط . وآخر الأخبار التي وصلتنا عنه كانت بعد التحرير وبالتحديد بعد عودة الأسرى المفرج عنهم إذ أخبرنا البعض بأنه موجود في أحد المعتقلات العراقية . وتناشد العالم بأسره أن يقف مع القضية لأنها قضية إنسانية قبل كل شيء . وختمت قائلة إن أولادها كلهم فداء للكويت .

(الرأي العام في ٣٠ يناير ١٩٩٨م)

أما الأسير ب .د .ظ والذي أسر في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م وهو من مواليد العام ١٩٥٣م متزوج ولديه ٥ أطفال وهو من عداد القوات الجوية وانقطعت أخباره منذ ذلك اليوم وتقول زوجته إن الأسرى المفرج عنهم بعد التحرير قالوا لها إنهم لم يلتقوا به أبداً . وتؤكد زوجته بأن اللجنة مهتمة من ناحية أهالي الأسرى حيث تقوم بمتابعة فعالة تجاه الأولاد في المدارس من قبل الباحثات في اللجنة الوطنية . وقالت إن الإعلام الكويتي إعلام جيد ويولي قضية الأسرى الاهتمام المناسب وتضيف إننا دائماً نتذكره بصورة مستمرة في شهر رمضان وعند وجبة الفطور وفي كل وقت وتقول إن لديها بنتاً لم تشاهد والدها إطلاقاً ولكنها تحمل صورته دائماً . وتناشد زوجة الأسير المجتمع الدولي الوقوف مع الكويت لحل قضية الأسرى . وتقول إن والدة الأسير دائمة البكاء عليه . كما أن جميع الجيران في المنطقة التي تقطن فيها متعاونون معنا ويقدمون لنا أفضل الخدمات .

(الرأي العام في ٣٠ يناير ١٩٩٨م)

أما الأسير أ .س . فكان عمره قبل الأسر ٣٥ عاماً وكان يعمل موظفاً وهو متزوج وله أربعة أولاد وتقول زوجته إنه أسر من عمله في صبيحة يوم الخميس الثاني من أغسطس ولغاية الآن لم نعلم عنه شيئاً ولم تصلنا أخبار عنه بتاتاً .

وتقول زوجته إنه كان لاعب تنس أرضي في نادي القادسية وتضيف : المناسبات مثل الأعياد والأفراح لا تشكل أي اهتمام لديها كما في السابق وتؤكد أن الأسير لم يغب عن أذهاننا منذ سنوات ، كذلك الأولاد دائمو السؤال عن والدهم ، أما بالنسبة لوالدة الأسير فقد توفيت منذ سنوات حزناً على ولدها ووالده مريض وحالته الصحية سيئة للغاية دائماً كثير التردد على المستشفى لأنه دائما يتذكر ولده الأسير ودائماً يذهب للأماكن التي كان يذهب إليها ، وتشكر اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى على الخدمات التي تقوم بها لأهالي الأسرى . وتناشد الدول الصديقة أن تقف مع قضية الأسرى لأنها وقفت معنا في أثناء الاحتلال وقفة مشرفة وتطالب الدول العربية والإسلامية أن يقوموا بتحرير الأسرى من النظام العراقي بأسرع وقت ممكن .

أما الأسيران ف .ع .ق ، ح .ع .ق واللذان تم أسرهما بتاريخ ٢٦/ ٨/ ١٩٩٠م فوزي طالب وعمره ٢٥ سنة وحسين موظف وعمره ٢٣ سنة .

ويقول شقيقهما محمد ، فوزي وحسين كانا خارج المنزل وتم القبض عليهما في إحدى نقاط التفتيش حيث وجدت معهما منشورات وآخر خبر وصل عنهما في شهر ديسمبر العام ١٩٩٠م ، وأنهما كانا موجودين في البصرة وبعد ذلك انقطعت عنا الأخبار ونتمنى من الدول التي لها علاقة مع العراق أن تقوم بالضغط عليه من أجل فك قيد أسرانا . كذلك نتمنى من الإعلام أن يواصل الضغط على النظام العراقي من أجل إطلاق الأسرى . ويقول إن لديه أملاً في عودة شقيقيه .

(الرأي العام في ٣٠ يناير ١٩٩٨م)

أما عن الأسير ف .ع فقد كتبت له ابنته ساره رسالة بعنوان رسالة لأبي الأسير قرأتها على جمع من الحاضرين قالت فيها : أبي مرت عشرة أعوام على

فـراقك لنا وأنا أعلـم أن هذا الفـراق لم يكـن وفق هـواك لأن هواك مـعي أنا وإخـوتي ووطني ، وكلنا يـا أبي مـجتمعين عـلى شيء واحـد وهو الأمل بعـودتك لنا ، إنك لا تزال بقلبي الصغير الذي ركبته الهموم يوم فراقك ولتعرف يا أبي ما هو حـال أمي ، حـالها يعـرف حين تنظر إلى وجـهـها وترى مـجرى الدموع التي حفرت على خديها حـرقة ولوعة على فـراقك الذي جاء يوم هب الإعـصار على وطني وأهـلك كل شيء وسـرق أهم شيء في حـيـاتي وهو الحب والحـنان الذي كنت أنهله منك حين تضمني إلى صدرك وزرع مكانه الخوف عليك والقلق على مصيرك .

أبي . . أقول أبي ولكن ليس من مجيب لي يقول نعم يا حبيبتي .

ولكن يا أبي أحـمد اللّه على أني كويتية وأعـيش على أرض الكويت وسط أهلك أهل الكويت الذين لم ينسـوا يوماً مـحنة أسرك أنت وإخـوانك الأسرى وها نحن اليـوم نقف وسط هذا الجـمع المبـارك حتى تكرم يا أبي الأسيـر من خـلالي أنا .

وختام رسـالتي هذه يا أبي أشكر باسمك الشيخ سالم الصباح رئيس اللجنة الوطنية لشؤون الأسـرى والمفقودين وبلدية الكويت وجميع القائمين على التكريم الذي يجسد شعار وطني الكويت لا تنسـوا أسرانا . اللّهم ارحم شـهداءنا وعـجل بفك قيد أسرانا .

سارة بنت الأسير الشاعر ف .م .ع .

(مع الأسير : يونيو ٢٠٠١م)

وهكذا يتضح من كلمـات أهالي الأسـرى مـدى المعـاناة التي يتـعرضـون لهـا نتيـجة لفـقدان معـرفتهم بمصـير ذويهم والأمل الذي يراودهم في عـودتهم ، وفيـما

يلي نعرض لأبرز المشكلات التي يعانيها أهالي الأسرى علماً بأنه يجب النظر إلى هذه المشكلات من خلال التركيبة السكانية والعلاقات بين أفراد المجتمع وطبيعة القيم السائدة فيه .

٢ - الآثار النفسية:

إن تعرض دولة الكويت لمأساة الغزو العراقي أدى بدوره إلى ردود فعل عنيفة داخل المجتمع ، وخلف آثاراً سلبية خطيرة تجاوزت كل الحدود ، وترك جروحاً عميقة لدى جميع القطاعات كان أبرزها ما تعرض له ذوو الأسرى من مشكلات اجتماعية ونفسية كان لها تأثير كبير يتجلى فيما يلي :

١ - الآلام النفسية الشديدة والشعور بالاكتئاب والانفعال الشديد ، والصراع الدائم نتيجة لعدم معرفة مصير الأسرى والمفقودين .

٢ - اضطراب النوم مثل الأرق والكوابيس الليلية والرعب الليلي المرتبط بالنوم[١] والتوتر والقلق والملل والإحباط .

٣ - الشعور بالعجز لمواجهة هذه المشكلة وعدم التأقلم مع واقع فقدان أحد أفرادها .

٤ - الخوف على الوطن وعلى النفس والأهل والأصدقاء والممتلكات .

٥ - الخوف من المجهول وفقدان الثقة والشعور المستمر بالحزن وعدم الرغبة في منافسة الآخرين[٢] .

---

(١) المؤتمر العالمي عن آثار العدوان العراقي ، الآثار النفسية والاجتماعية ، المجلد الثاني ص ٢٤٢ .

(٢) مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية : الآثار النفسية والاجتماعية ، المجلد الثاني ص ١٧ - ١٨ .

٦ - الميل إلى العزلة وضعف الشهية .

٧ - التقلب المزاجي وفقدان الاتزان النفسي وعدم التكيف والتوافق[١] .

ونتيجة لذلك تحولت معظم هذه الآثار النفسية إلى أمراض عضوية وأدت أحياناً إلى عاهات أبدية انتهت بالوفاة وها نحن نتعرض لبعض الوثائق التي تحدثنا عن ذلك .

١ - تعرض لنا وثيقة حالة أب ساءت حالته الصحية نتيجة لفقدان ابنته ، وقبل أن يلفظ أنفاسه بأربع ساعات أجهش في البكاء وطالب زوجته أن تصلي من أجلها قائلاً : «أريد أن أراها قبل أن أموت لنصلي جميعاً من أجلها ، ولم تتمالك الزوجة أم الأسيرة نفسها فبكت بدموع حارقة لفقدان ابنتها ولزوجها الذي يصارع المرض ويتعذب مرتين مرة بسبب مرضه ، ومرة بسبب عدم تمكنه من رؤيته لابنته الأسيرة[٢] .

٢ - تعرض لنا وثيقة حالة أب تدهورت صحته بعد قيام سلطات الغزو الغادر بأسر ابنه فأصبح سريع الغضب قليل النوم والأكل كثير التفكير والبكاء ، كثير الشجار يجلس وحيداً وكثيراً ما يسأل الأصدقاء عن أخبار ابنه الأسير مما يسبب له إرهاقاً ، وقبيل وفاته كان يتمنى رؤية ابنه الأسير ، ولما لم يتحقق له ذلك أوصى الأب ابنه الآخر أن يهتم بأخيه الأسير بعد عودته وأن يوليه الرعاية الكاملة التي حرم منها في أثناء أسره في السجون العراقية

(١) لطيفة الرجيب وغنيمة الخميس : الجوانب الاجتماعية والنفسية في برنامج التأهيل لمتضرري العدوان العراقي على دولة الكويت ص ١٠ ، ١١ .

(٢) اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين : تقرير عن الحالة النفسية لأسرة الأسيرة د .ع .ح . (القضية الأولى) تحت عنوان صورة حزينة حددها سرطان صدامي .

بالإضافة إلى نصيبه من أمواله ثم توفي في أثناء أدائه للصلاة[1] ألا يحق لهذا الرجل أن نصلي جميعاً من أجله .

٣ - تعرض لنا وثيقة حالة نفسية حلت بأب نتيجة لأسر ابنه الذي رفض الخروج من الكويت ، ثم قامت القوات العراقية باعتقاله وترددت الشائعات بقتله مما أدى إلى تدهور صحة الأب فقلت شهيته للأكل والنوم ، وأصبح كثير البكاء ، ويميل للجلوس وحده ويرفض التحدث مع عائلته ، ويأخذ في تلمس الأخبار كان كثير التفكير (السرحان) حتى وصل الأمر به إلى أنه حينما يقرع جرس الباب كان يصرخ ويقول (ح) رجع ، وعند شراء منزل جديد خصص الأب جناحاً للأسير حين عودته واختاره كموقع تدخله الشمس حيث خصصه للأسير لافتقاده النور أثناء الأسر ولا يزال الجناح موجوداً حتى الآن . وقبل الوفاة بيومين كان الأب يخيل إليه أن هناك طائرات سوف تفرج عن الأسرى .

وتوفي الوالد بعد أن تدهورت صحته نتيجة لكثرة التفكير والبكاء على الأسير وخوفه من أن يموت دون أن يراه حيث أصيب بورم سرطاني في البنكرياس[2] .

٤ - تعرض لنا وثيقة أسرة مكونة من أب وأم وأربعة أبناء وابنة تعيش جميعها في منزل واحد ، وقبل الغزو سافرت هذه الأسرة إلى القاهرة لقضاء إجازة الصيف تاركة ابنها ياسر في الكويت . وعندما وقع الغزو الغادر حزنت الأسرة حزناً شديداً لما أصاب دولة الكويت بوجه عام وافتقادها لابنها بوجه خاص وكانت تتمنى أن تكون موجودة في الكويت حتى تستطيع مشاهدة

---

(١) انظر تقرير عن الحالة النفسية لوالد الأسير ع .م .ط .

(٢) انظر تقرير عن الحالة النفسية للأسير ح .س .ف .

ابنها قبل الأسر . . حزن والد الأسير حزناً شديداً لفقدانه ابنه (ي) ولكن هذا الحزن لم يكن ظاهراً مما أثر سلبياً على حالته النفسية والذي أصيب بعدها نتيجة للكبت والحزن بفقدان عينه اليمنى وذلك بسبب ارتفاع ضغط الدم ثم بدأت الأمراض تتوالى على والد الأسير فقد أصيب بعدة جلطات واحدة تلو الأخرى ومن ثم أصيب بانسداد في شرايين القلب مما اضطره في نهاية الأمر إلى إجراء عملية قسطرة في القلب ، فكلفت الأسرة بيع محلهم التجاري بالإضافة إلى ممتلكات أخرى وذلك بغية الحصول على تكاليف إجراء العملية .

وتوالت السنون ووالد الأسير تتدهور حالته الصحية يوماً بعد يوم إلى أن توفاه اللّه عن عمر يناهز ٥٧ عاماً . كان رحمة اللّه عليه كثير التفكير في الأسير ودائماً يردد (إن في ذمتي نقودا للأسير إذا مت تذكري ذلك) وكانت الأم دائماً تذكر الأسير أثناء وجود الأسرة على مائدة الطعام وبالأخص عندما تقوم بإعداد نوع من الأكل الذي يحبه الأسير ، فتصوم وتصد عن الأكل لعدة أيام[١] .

مات والد الأسير ولم ير ابنه ، وفقدت والدة الأسير رفيق الدرب والكفاح والونيس الذي كان يخفف عليها معاناتها . . فأصبحت مصيبتها مصيبتين بفقدان الأب والابن في آن واحد .

٥ - تذكر لنا وثيقة معاناة أم أسير انتقلت إلى رحمة اللّه في ٢ من يناير ١٩٩٩م نعرضها كما هي لتوضيح مدى المرارة والمعاناة التي تعانيها أمهات الأسرى[٢] .

(١) انظر تقرير عن الحالة النفسية لأسرة الأسير ي .ع .ح (الحالة الثانية) .

(٢) انظر معاناة أم والدة الأسير ب .ع .ش .

معاناة أم الأسير

انتقلت إلى رحمة اللّه تعالى والدة الأسير ب .ع .ش في ٢ من يناير ١٩٩٩م يوم السبت الثالث عشر من رمضان .

قد تكون هذه البداية والنهاية في الوقت نفسه لامرأة عانت ، وأم انتظرت كثيراً رجوع ابنها الأسير ورغم أننا شعب عقيدته الدين الإسلامي . . ونعلم جيداً أن ما حدث هو قضاء اللّه وقدره ونحمده كثيراً أننا مؤمنون . . ونشكر فضله على كل ابتلاء نصاب به إلا أن الإنسان هو الإنسان ذلك المخلوق الذي تمتزج أحاسيسه وشعوره مع عقله وعقيدته وقد يطغي أحياناً الشعور على الفكر . . القلب على العقل . . الأمومة على النفس . . فما حدث وما أصبنا به لم يكن سوى حب من اللّه لعبده كي يحتسب له الأجر ويضاعفه إن شاء اللّه .

تنوح النفس . . يحن الحضن . . يقشعر البدن . . تدمع العين لذكراه والمسكن الوحيد هنا كلمة لا حول ولا قوة إلا باللّه . . إنا للّه وإنا إليه راجعون . . كانت هذه الكلمات تتردد دائماً على لسان والدة الأسير رحمها اللّه عندما تصل إلى الذروة . . إلى الشوق . . إلى الأمل لرؤياه .

بدأت المعاناة عند رجوعنا لأرض الوطن على اعتقاد من والدتي أن بدر لازال موجوداً في الكويت . . كان الاعتقاد المسيطرة عليها أنها ستجده في المنزل وذلك لأن ظروف اللقاء في المطار وقتها لن تسمح بذلك لما مرت به الكويت من مأساة تمنع هذا اللقاء . . دخولنا المنزل لم يكن يطمئن بوجود شخص يعيش فيه إلا أن الهرولة التي لازمت قدميها جعلتها تطوف المنزل بأكمله في ثوانٍ معدودة حيث إنها لم تنتبه إلى ما حدث بداخله . . وعند آخر صرخة لندائه استطردت قائلة (ب) غير موجود في البيت . . هل يا ترى عند الجيران؟؟ واتجهت فوراً إلى خارج المنزل وإذا بابن الجيران يقف خارج المنزل فألقى التحية على والدتي ثم

ألقى بالقنبلة التي تفجرت في قلب والدتي قبل الكل ، حيث قال : خالتي أم صلاح ترى (ب) أخذه العراقيون مع مجموعة من الشباب ، لم تصدق والدتي هذا الخبر فكان الطرح الآتي كالعاصفة على ابن الجار فأمطرت عليه عدة أسئلة توقف لسانه عن الرد عليها مثل : متى حدث هذا؟ هل رأيت الجنود يأخذونه أمامك؟ من كان معه؟ ماذا فعل؟ هل ضربوه؟ إلى أين أخذوه؟ قد لا يزال موجوداً عند أحد الأقارب؟ هل هو حي أم ميت؟ كانت الصدمة . . كانت الفاجعة . . أصبحت أزمة . . بحثنا كثيراً . . سألنا الأكثر . . انتظرنا الأكثر فأكثر ولكن دون جدوى وسلمت والدتي أمرها للّه . . في بادئ الأمر كانت هناك صحة للسؤال والبحث ولكن شد الأعصاب والأمل الذي أصبح سراباً في عيون بعض الناس ، بدأت هذه الأمور كآفة تأكل صحة والدتي . . قد يتساءل البعض ويقول البركة في إخوانه ولكن ما لا يعلمه الناس هو ذلك الاختيار الرباني الذي خص أخي (ب) بالذات والحمد للّه قد يكون كما قلت سابقاً هو حب اللّه لوالدتي ولنا فاللّه كما يعطي يأخذ هو بيده كل شيء تذوقنا نحن الإخوة حلاوة اللسان من أخي فما بالكم بالأم عشنا بالحب والحنان منه ومعه ، رغم أنه لم يكن الأخ الأكبر فكيف لأم أن تفتقد هذا؟ قد يعتقد القارئ أنني أبالغ ولكن اللّه أعلم بما في الصدور فكان البسمة الأمان . . الحنان . . الطاعة . . الإيمان . . الاحترام . . والعون . . هكذا كان الأسير (ب) من الجميع فكيف لي وصفه مع والديه؟ ! !

مشاغل الدنيا كثيرة . . فالطالب يذاكر . . الموظف يعمل . . الابنة المتزوجة مربية . . والأب يكدح كي يظل منزله عامراً . . ولكن تقف الأم جانباً أمام كل هذه التغيرات صامدة على أمل واحد وهو اللقاء الذي لا تعرف كيف سيحدث؟ ومتى؟ وهل سيحدث؟ إلى أن وقعت بكل آمالها بين أيدي أطباء متخصصين

بإجراء عملية بالقلب وتنجح العملية ولكن استمرار النجاح لن يتم إلا بصفاء البال والراحة النفسية . . فازداد الإيمان باللّه وقوي الصبر لديها ليس لتنعم بالصحة وتعيش مرفهة إنما لكي تستمر بالانتظار لرؤياه لاحتضان طفلها الرجل . .

وعانت الكثير وفقدت جزءاً من بصرها . . وتعطل البنكرياس لوجود السكر في الدم وقلت ضربات القلب أكثر فأكثر إلى أن تلقى ربها صائمة قبل ابنها . . فهل للعالم وجهة نظر مختلفة عما يحدث لأهالي الأسرى والمفقودين؟ وإن كان ليتقدم العالم بمصافحة هذا الرجل .

والد الأسير الذي ينتظر أمرين ملاقاة ربه كزوجته أم رؤية ابنه الأسير وسيشعر العالم أن اليد التي ربت وتعبت وعانت لا تحمل سوى الحمد للّه على كل حال ومعاناة لم ولن يشعر بها من لم يتذوق مرارتها ليتخيل العالم أنه يفقد أرضيته ، هكذا نحن أهالي الأسرى والمفقودين ، نفقد صلة الرحم والقرابة والصداقة .

مع تحيات أخت الأسير (ب)

هذه أمثلة فقط للآثار السلبية التي انعكست على نفسية ذوي الأسرى وأدت إلى كل هذه المشكلات غير الإنسانية .

ونتيجة لذلك كانت قضية ذوي الأسرى هي القضية الأولى التي تشغل بال المجتمع الكويتي أميراً وحكومة وشعباً ، فقد أخذت الحكومة على عاتقها مسؤولية توفير وضمان كافة برامج الرعاية الاجتماعية والنفسية والصحية والمعيشية والتعليمية لذوي الأسرى تقديراً لتضحياتهم ، وتعويضاً لغياب أحد ذويهم ، وتخفيفاً عن القهر والعذاب والمرارة التي يعيشونها ، لذلك جاء إنشاء اللجنة

الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين عام ١٩٩١م بمرسوم أميري من بين الاهتمامات الكبيرة التي قامت بها الحكومة لتوفير كافة أوجه الرعاية لهم[١] هذا إلى جانب إنشاء صندوق رعاية أسر الأسرى والمفقودين لتفعيل دور المؤسسات الخيرية والشعبية واستثمارها في دعم هذه القضية[٢] .

٣ - الآثار الاجتماعية:

مما لا شك فيه أن عملية أسر عائل الأسرة أو ابنه أو زوجته لها آثار اجتماعية سلبية متعددة على الأسرة بكاملها فالأسرة التي يتم أسر عائلها الذي يترك أطفالاً صغاراً تتأثر تنشئتهم الاجتماعية وسلوكياتهم نحو الآخرين ، وتؤدي بهم إلى عدم الاستقرار .

والأسرة التي تفقد عائلها الذي كان يتابع الأبناء في مدارسهم ودور علمهم دفع هؤلاء الأبناء إلى عدم الاهتمام بالمستقبل مما أدى إلى تعثرهم الدراسي وعدم تقبلهم التعليم وعدم قدرة بعض زوجات الأسرى على متابعة الأبناء في المدارس خاصة إذا كانت الزوجة أميّة[٣] ومن هنا كان دور مكتب الخدمة الاجتماعية بالتعاون مع بعض مؤسسات الدولة في متابعة هؤلاء الأبناء دراسياً سواء بمدارسهم أو في منازلهم من أجل الأخذ بأيديهم والاهتمام بشؤونهم والعمل على حل مشكلتهم .

إن الدراسات الميدانية التي أجريت على بعض هؤلاء الطلاب كشفت عن

(١) عن أنشطة هذه اللجنة انظر الفصل الثالث من الكتاب .

(٢) حول نشأة هذا الصندوق انظر : اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين تقرير حول نشأة صندوق رعاية الأسرى والمفقودين .

(٣) تقرير عن حالة أسرة الأسير (س) .

زيادة معدلات الاضطرابات النفسية والانفعالية مما أثر في تحصيلهم الدراسي واهتمامهم بالمستقبل ، وفي دراسة قامت بها وزارة التربية على طلاب المدارس في عام ١٩٩١م ظهر أن ٨٣٪ من أفراد العينة يعانون من القلق والخوف وأن ٥٥٪ يعانون العدوانية . وفي دراسة أخرى لوزارة التربية عام ١٩٩٣م كشفت نتائجها عن أن ٧٥٪ من أفراد العينة يعانون من التوتر والقلق ، ٣٠٪ يعانون من الحزن[١] .

ونتيجة لذلك فإن مكتب الخدمة الاجتماعية باللجنة الوطنية لشؤون الأسرى يكثف جهوده بتقديم كافة الخدمات والرعاية الاجتماعية لهؤلاء الأبناء عن طريق متابعتهم في مدارسهم وكذلك من خلال الأنشطة الاجتماعية والثقافية والترفيهية التي يقوم المكتب بإعدادها والإشراف على تنفيذها ، يضاف إلى ذلك أن ظهور روح التكافل والتماسك بين أفراد الشعب الكويتي ساعدت على تخفيف المعاناة عن ذوي الأسرى .

ومع كل ذلك فإنه نتيجة لحالات التوتر التي تصاحب ذوي الأسرى زادت حالات الطلاق بين زوجات الأسرى لمبررات اجتماعية ونفسية مع عدم الرغبة في ذلك[٢] وفيما يلي تحدثنا الوثائق عن :

١ - زوجة أسير شابة تبلغ من العمر ٢٥ عاماً ولديها ثلاثة أبناء ولا تعمل وتعيش بمفردها مع أبنائها والعلاقات بينها وبين أسرة الأسير مقطوعة تماماً ، حصلت على الطلاق لتوفير الأمن والأمان لأسرتها الصغيرة خاصة وأنها لا تعمل ، تزوجت ! والأبناء يحاولون التكيف مع الشخص الجديد في الأسرة

---

(١) مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية : الأبعاد النفسية لآثار الغزو العراقي على دولة الكويت ، جامعة الكويت ١٩٩٦م ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) انظر على سبيل المثال : نبذة عن حالات الطلاق التي تتم بين زوجات الأسرى .

ولكن يحتفظ كل واحد منهم بصورة والده ، وهم متمردون دائماً والابن الأكبر متعثر دراسياً وتم تحويله إلى التعليم الموازي لرسوبه المتكرر وعجزه عن التعليم .

٢ - زوجة لأسير ، كويتية ، والدتها سورية الجنسية وتعيش في سوريا أكثر من الكويت ولديها ابن واحد يتكلم اللهجة السورية لالتصاقه بالجدة وحصلت الزوجة على الطلاق وسافر الابن مع جدته ليتعلم في المدارس وعمره ٧ سنوات ولا يزور أهل والده إلا في إجازاته عندما يحضر إلى الكويت ، تسعى مطلقة الأسير للزواج الآن .

٣ - زوجة لأسير تبلغ من العمر ٣٢ عاماً ابنها الأكبر عمره ١٣ عاماً ، والغريب في الأمر أن الابن يطلب من والدته الحصول على الطلاق والزواج من جديد لأنه يشعر بمعاناة والدته وبكائها عند حدوث أي مشكلة وعدم قدرتها على مجابهة المشكلات لأنها لا تعمل وتعاني من الضيق المادي . . لأن والده قبل أسره كان تاجراً ولا توجد له رواتب ثابتة ما عدا ٥٠٠ دينار المنحة المقررة من مجلس الوزراء لذوي الأسرى .

يضاف إلى ذلك أن هناك حالات تسعى للطلاق لمبررات نفسية أو اجتماعية على الرغم من عدم الرغبة في ذلك .

حضرت إلى مكتب الخدمة الاجتماعية والنفسية فتاة في مقتبل العمر (٢٣ عاماً) لديها ابن واحد كانت تحمله في أحشائها عندما أسر الزوج . وشرحت معاناتها النفسية لكونها زوجة أسير وحبها العظيم له وانتظارها له بكل شوق ولهفة لكونه إنساناً عظيماً على حد قولها ، كما أنها تغذي ابنها دائماً بتلك الأحاسيس والمشاعر الفياضة للزوج ولكنها تتحسر على شبابها وحالها وتشعر

بأن العمر والانتظار ممل وشاق ومتعب ، هذه هي أحد إفرازات الاحتلال العراقي للكويت والذي يعد وبحق كارثة العصر ، فآثاره لم تقتصر على ناحية بل شملت كل مناحي الحياة في الكويت .

٤ - الآثار الصحية والاقتصادية:

على الرغم من أن القطاع الصحي في الكويت كان يحقق واحداً من أعلى مستويات الرعاية الصحية في العالم حيث تمكن من السيطرة على الأمراض المعدية والأمراض المتسببة في وفيات الأطفال ، كما كان يتميز بمستوى متقدم من فعاليات الرعاية الطبية الطارئة والمراكز المتخصصة في مجالات أمراض الكلى والأورام والطب النفسي وغيره فإن ما فعله النظام العراقي من نهب وسلب وترويع للآمنين قد ألحق العديد من الأضرار بهياكل هذا القطاع[١] .

ومع أن الحكومة الكويتية نجحت في إنعاش النظام الصحي بالكويت مرة أخرى ، فإنه لا تزال هناك أمراض يصعب السيطرة عليها نتيجة لحزن ذوي الأسرى على ذويهم .

إن هموم أهالي الأسرى بسبب طول غيابهم ، وعدم التأكد من مصيرهم أصاب معظمهم بالاكتئاب والحزن لدرجة أن دولة الكويت تفقد بمعدل كل ستة أشهر والد أسير أو والدة له أو شقيقاً بسبب ضيقهم النفسي الذي يترتب عليه الإصابة بأمراض مختلفة كالسكتة القلبية والدماغية ، والسرطان ، والسكر ، وأمراض ارتفاع ضغط الدم . وفيما يلي نعرض بعض الحالات التي كان فيها أسر الأبناء في المعتقلات والسجون العراقية سبباً في المعاناة التي تعرض لها الأهل نتيجة للحزن المستمر الذي أدى إلى المرض ثم إلى الوفاة ، وهذه بعض الوثائق التي تحدثنا عن ذلك .

---

(١) مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت وجوداً وحدوداً ، ص ٢٢٥ - ٢٥٧ .

١ - أسرة تتكون من الوالدين وأبنائهما الخمسة ، بعد أن أسر الأخ الأكبر تدهورت صحة والد الأسير لتعلقه بابنه الأكبر وعانى من الأمراض (الضغط - السكر) ومن ثم الفشل الكلوي .

- كانت والدته شديدة التأثر بأسر ابنها وفقد زوجها إلى جانب الظروف الصحية التي تمر بها (قصور في عضلة القلب ومشكلات في الرئة والكلى) .

- طلقت إحدى أخوات الأسير وتعيش مع والدتها وهي مسؤولة عن تربية ثلاث من البنات تخلى عنهن والدهن وبالتالي أصبحت المسؤولية كبيرة على والدة الأسير وهي التي تعاني من فقدان الابن الأكبر الذي كان السند والمعيل لها .

- كانت تتمنى ألاّ تفارق الحياة كما حدث لوالده إلا بعد رؤيته ، ولكن القدر لم يمهلها وتوفيت بعد والده بعامين[١] .

٢ - قبل الغزو كانت الأسرة متوسطة الحجم حتى تاريخ ٢/ ٨/ ١٩٩٠م ثم أصبحت الأسرة صغيرة الحجم حيث أن اثنين من الأبناء أسرى والثالث شهيد . ولم يبق سوى الأب والابن والابنة .

- كانت الأم شديدة الحزن على أبنائها بعد أن كانت اجتماعية وشخصية مرحة أصبحت منعزلة اجتماعياً خاصة بعد أسر ابنيها واستشهاد ابنها الثالث ، وقتله أمام أعينهما (الأم - الأب) .

- وهنا بدأت المعاناة حتى أصبحت الأم شديدة الحزن والبكاء إلى أن داهمها المرض حيث أصيبت بمرض (سرطان الدم) وأصبحت رافضة للحياة ، وبعد صراع مع المرض توفيت حسرة على أبنائها .

(١) انظر اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين : مكتبة الخدمة الاجتماعية (الحالة الأولى) .

- أما الأب فقد أصبح وحيداً مريضاً بعد أن كان له مركز وظيفي عال فقد أصيب بجلطة في الدماغ من جراء التفكير بالأبناء ولم يتبق له من أُسرته سوى الابن والابنة[١] .

٣ - الأسرة مكونة من الوالدين و٤ من الأبناء .

- أسر أحدهم وقتل الآخر أمام والدته والجيران .

- عندما أحضر الجنود العراقيون الابن مقيداً طلبوا من والدته حضور إعدامه وعندما أطلقوا النار عليه أخذت تصرخ حتى فقدت النطق تماماً .

- لا تزال والدة الأسير غير قادرة على النطق جراء ما حدث أمامها ولكنها تؤمن بأن ابنها الآخر سيعود وعندها ستتكلم .

- تعيش الأسرة إلى الآن في انتظار الغائب والترحم على الشهيد وشفاء الأم[٢] .

٤ - تزوج الأسير قبل الغزو بسنتين وأنجب ابناً كان يبلغ من العمر سنة واحدة حين الأسر .

- تعيش الزوجة الآن في انتظار الزوج وتحرص على معالجة ابنها الذي أصيب بمرض في عينيه نادر لم يعرف تشخيصه كل الأطباء الذين عرض عليهم في كثير من الدول ، ورجعت أسباب المرض إلى المعاناة النفسية التي يعاني منها الابن لفقد والده وهو الآن مصاب بحساسية شديدة في عينيه تجعل الرؤية شبه معدومة خلال النهار ولا يستطيع التعرض لأي أشعة ، لذلك يضطر إلى استخدام نظارة سوداء طول اليوم مما جعله يفضل الانعزال

(١) اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين : مكتب الخدمة الاجتماعية (الحالة الثانية) .

(٢) اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين : مكتبة الخدمة الاجتماعية (الحالة الثالثة) .

والوحدة وخاصة في المدرسة التي تم الاتفاق مع إدارتها على التعامل مع الابن بخصوصية وتميز ومحاولة إشراكه في كثير من الأنشطة[١] .

هذه نماذج لما سببه الغزو العراقي للشعب الكويتي ، هذا الذي يمثل كارثة إنسانية بكل المعاني ، يضاف إلى ذلك أن آثار هذا الغزو الاقتصادية كانت فادحة ، فقد أضرت بمسيرة الكويت التنموية خلال فترة الاحتلال والفترة التالية لعملية التحرير وإعادة البناء والعمران[٢] .

يضاف إلى ذلك أن معظم أسر ذوي الأسرى تعرضوا لضائقة مالية بعد فقدان عوائلهم وتراكمت عليهم الديون ولم يتمكنوا من توفير أبسط السبل للحياة المعيشية[٣] .

ومن هنا كانت الإعانة الشهرية المتمثلة في المنحة المقررة من مجلس الوزراء لذوي الأسرى ذات أثر بالغ في مسيرة حياتهم والتخفيف من معاناتهم[٤] .

ومما سبق يتضح مدى فداحة هذه الآثار على المجتمع الكويتي خاصة وأن هذا المجتمع مسالم بطبيعته ، وتحكمه مجموعة من العلاقات الاجتماعية المترابطة ، لهذا نجد أن قضية الأسرى والمفقودين ، تمس كل أسرة كويتية ، وكل فرد في المجتمع الكويتي بشكل مباشر أو غير مباشر خاصة وأن أبناء الشهداء والأسرى

(١) اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين : مكتبة الخدمة الاجتماعية (الحالة الرابعة) .

(٢) مركز البحوث والدراسات الكويتية : الكويت وجوداً وحدوداً ص ١٩٧م .

(٣) انظر على سبيل المثال تقرير خاص بحالة أسرة الأسير (س) . .

(٤) من خلال العمل الميداني للزيارات الخاصة بأسر الأسرى تبين أمر الاحتياج المالي لتيسير أبسط السبل للحياة المعيشية ، لذلك فإن مكتب الخدمة الاجتماعية غالباً ما يوصي بصرف إعانات مالية لبعض هذه الأسر .

انظر التقارير الخاصة بحالات الأسرى التي يعرضها مكتب الخدمة على رئيس اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين .

الكويتيين يواجهون مشكلات واضطرابات عديدة في مجالات مختلفة من أنشطة حياتهم ، فهؤلاء الأبناء يندرج معظمهم في فئة المقهورين الذين كانوا غالباً شهود عيان لما فعله الغزو العراقي بأهاليهم والذي تمثل في عملية الإعدام أو الاعتقال أو التعذيب النفسي والجسدي أو الاغتصاب مما جعل هؤلاء الأبناء يتعرضون لمشكلات سلوكية ودراسية ونفسية ، وانعكست سلباً على حياتهم وعلى استقرارهم النفسي والانفعالي الذي يعتبر ضرورياً لمواجهة المستقبل ومثلت لهم موقفاً عصيباً ومفاجئاً مما أثر في سلوكهم وخبراتهم ، وهناك أطفال أبرياء ولدوا كغيرهم على أرض الكويت كانت كل أحلامهم المتواضعة أن يعيشوا في كنف والديهم فيتمتعوا بحنان الأم وعطف الأب في أسرة سعيدة ، لكن جاء الغدر العراقي وسرق الحلم والفرح من قلوبهم ، ٦٨٠ طفلاً وطفلة من مواليد الثاني من أغسطس ١٩٩٠م حرموا من رؤية آبائهم ولم يشاهدوا إلا صورهم المحفورة في أفئدتهم قبل أن تزين جدران منازلهم ، وإن كانوا يتحدثون معهم في كل وقت بعبارات مختلفة تقول «يا أبوي متى تعود يارب رجع أسرانا» إنهم يستصرخون كل ضمير حي وشريف «لم نر آباءنا الأسرى مطلقاً ، ساعدونا على رؤيتهم بعودتهم إلينا وإلى الديرة» ، دموع هؤلاء الأبرياء امتزجت بدموع الأمهات اللواتي جلسن بين الرجاء والأمل وقلوبهم تدعو «يا رب رد إلينا أسرانا»[١] .

إن هؤلاء الأطفال الذين فتحت أعينهم على قصف المدافع وانفجار القنابل ، ووقع أقدام جنود الاحتلال والمذابح التي ارتكبوها أمام أنظار الأطفال بكل خسة ووقاحة ، من الذي يستطيع أن ينتزع الحزن من أعماقهم ووجدانهم ومن الذي يستطيع أن يعالج ما أصابه الغزو من تصدع داخلي[٢] وبأي وسيلة يمكن إقناع

---

(١) الأنباء : في ٢٤ فبراير ٢٠٠١ .

(٢) مركز دراسات الخليج : الأبعاد النفسية لآثار الغزو العراقي على دولة الكويت .

مثل هذا الطفل شعورياً بأن في العالم أناس أخيار ، وكيف يمكن أن تمحو صفحة الشر من ذاكرته ووجدانه .

وهناك أمهات أسرى عانين من طول انتظار عودة ذويهن الذي فاق كل التوقعات والاحتمالات مما عرضهن للعديد من الأمراض العضوية والنفسية وغيرها . وهناك زوجات أسرى وجدن أنفسهن فجأة يعشن مع أولادهن وكأنهن أيتام وهناك أمهات ثكالى وأرامل شهداء ، وحرائر اعتدى عليهن وتعرضن لآلات التعذيب وخرجن منها بين الموت والحياة .

إن هذه الأضرار التي أحدثها العدوان العراقي على الكويت تدفعنا إلى التساؤل لماذا كل هذا؟ وتجعلنا نخرج بعبرة بينة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . . هذه العبرة هي أن أيدي الطغاة من البشر والمستبدين الملوثة بدماء البشر لم يعد لها مكان بين عالمنا المعاصر لأن هؤلاء كما وصفهم القرآن الكريم ﴿كالأنعام بل هم أضل﴾[1] .

* * *

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٩ .